"قافلة الصمود" أم قافلة التآمر؟ في تشريح مسرحيّة سياسيّة رديئة الإخوان يعودون متنكّرين: قراءة في خبث القوافل وحكمة الرفض المصري

12 يونيو 2025

سياسة وتاريخ

4 دقيقة قراءة



"قافلة الصمود" أم قافلة التآمر؟ في تشريح مسرحيّة سياسيّة رديئة الإخوان يعودون متنكّرين: قراءة في خبث القوافل وحكمة الرفض المصري



تبدو "قافلـة الصـمود" المزعومـة كمـا لـو أنَّهـا خرجـت مـن مخيّلـة مخـرج درامـــ ردىء، أراد أن يصنع ملحمة تضامنيّة فانتهى به المطاف إلى مهزلــة سياســيّة مــن الطــراز الرخيــص. ذاك أنّ القافلـة التــــى انطلقــت مــن ليبيــا، عــابرةً تــونس، محاولةً اقتحام الحدود المصريّة، لا تحمل من الإنسانيّة إلاّ قشورها، ومن التضامن إلاّ أبواقه الصدئة. والحال أنّ مَن يتأمّل في تركيبة هذه المسرحيّة الهزليّة وتوقيتها المريب، لن يحتاج إلى عبقريّة استثنائيّة ليكتشف أنّنا أمام عمليّة محكمة التدبير، غايتها ليست إطعام جائع في غزّة أو مداواة جريح، بل وضع مصر في قفص الاتِّهام أمام محكمة الرأس العامّ الأعمس.

بيد أنّ الأمر الأشدّ فجاجة، والذى يكشف عن

ذكاء يضاهى ذكاء الحمير، هو اختيار هؤلاء "المتضامنين" للطريق البرَّى الأطول والأعقد، متجاهلين البحر الذي يفصلهم عن غزّة بساعات معدودة. لماذا لم يستأجروا مركباً من طرابلس أو صفاقس؟ ولماذا لم يكلَّفوا أنفسهم عناء مكالمة هاتفيّة واحدة للتنسيق مع السلطات المصريّة وأخذ الموافقة الرسمية؟ الجواب أوضح من شمس الظهيرة: لأنّ الهدف لم يكن الوصول إلى غزَّة، بل الوصول إلى عنق مصر وليّه أمام الكامرات.

والمفارقة التي تدعو للضحك المرير أنّ التنظيم الحوليّ للإخوان، بعد أن طُرد من كل عاصمة عربيّـة "محترمـة"، وبعـد أن صـار اسـمه مرادفـاً للخيانة والإرهاب، يعود اليوم متنكّراً فى ثياب

الإنسانيّة، متّخذاً من جراح غزّة مطيّة لعودته المشؤومة. أولئك الذين أشعلوا النار في كل بلد حلُّوا فيـه يتقمَّصـون اليـوم دور رجـال الإطفـاء! لكنّ مصر، التى تعلّمت من تاريخها الطويل مع الأفّاقين والدجّالين، لم تنخدع بهذه المسرحيّة الرديئة. فالقاهرة التى فتحت معابرها لعشرات الآلاف مــن الجرحـــى الفلســطينيّين، والتـــى تستقبل يوميّاً مئات الأطنان من المساعدات المنظَّمة، لا تحتاج إلى شهادة حسن سلوك من عصابة من المغامرين السياسيّين الذين يتاجرون بدماء الأبرياء. الفرق شاسع بين العمل الإنسانيّ المنظَّـم والمُنسّـق، وبيــن الســيرك السياســـــّن الذس يتّخذ من المأساة الإنسانيّة خشبة مسرح لعروضه البائسة. أغلب الظـنّ أنّ وراء هـذا التـوقيت المحسـوب بدقّة صانع المتفجرات المحترف أصابع لا تكفّ عن العبث بأمن المنطقة. فبينما تقود الرياض جهوداً دبلوماسيّة حثيثة لوقف نزيف الدم في غزَّة، وبينما تلعب القاهرة دور الوسيط القوس بيــن الأطــراف المتصارعــة، تخــرج علينـــا هـــذهـ القافلة المشبوهة لتخلط الأوراق وتعكّر صفو المياه. وكأنّ أصحابها يقولون: دعوا الحرب مستعرة، دعوا الدماء تسيل، فنحن نتغذَّى على الفوضى ونزدهر فى الخراب!

من الرياض، حيث تُصنع السياسات بعقل بارد وقلـب حــارّ، ننظــر كمــواطنين بعيــن الريبــة والاشمئــزاز إلــى هــذه المحــاولات المكشوفــة لابتزاز مصر ورئيسها وجيشها وإضعاف موقفها.

المملكـة التــــــ اكتـــوت بنـــار الإخـــوان وأذيـــالهم، تعرف جيّداً أنّ هـؤلاء لا يحملون فـــ جعبتهـم سوى الخراب والدمار. لهذا فإنّ وقوفها الحازم إلى جانب مصر ليس مجرّد تضامن عاطفي، بل هو موقف استراتيجى يدرك أنّ أمن مصر من أمن المنطقة بأسرها، وأنّ كل محاولة لزعزعة الاستقرار المصرى هي طعنة في خاصرة الأمّة كلُّها. والحقيقة المُرّة، التي تقضّ مضاجع دعاة الفوضى، هي أنّ الطريق إلى القدس لا يمرّ عبر تــدمير القــاهرة، وأنّ نصــرة فلسـطين لا تكــون بتفتيت مصر وابتزازها. هذه القوافل المسرحيّة، مهما تزيّنت بالشعارات البرّاقة والرايات الخفّاقة، ستبقى مجرّد فقاعات صابون تتلاشى عند أوّل احتكاك مع الواقع. أمّا مصر، القلعة الحصينة والحارس الأمين، فستبقى صامدة في وجه كل المؤامرات، شامخة رغم كل المحاولات اليائسة لإركاعهـــا. وليعلـــم الحـــالمون بإســـقاطها أنّ أحلامهم ستتبخّر كما تبخّرت أحلام من سبقوهم، وأنّ التاريخ لا يرحم الحمقى مهما تقنّعوا بأقنعة النبل الزائف.